23

وصية بمحبة النبي ﷺ

نص الوصية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ وَوَلَدِهِ والناس أجمعين»**[1].

مفردات الوصية

لا يؤمن: أي لا يكون إيمانه كاملاً، وليس معناه أنه يكفر.

أحبَّ إليه: أي مُقَدَّماً لديه بالطاعة والاقتداء به ﷺ وترك مخالفته.

ما يُفْهَمُ من الوصية

أختي المسلمة، إن هذه الوصية تحثّنا على أن نقدم طاعة رسول الله ﷺ والاقتداء به على تعلقاتنا بالبشر الذين نحبهم أو لنا معهم مصلحة دنيوية؛ فالمحبة للنبي ﷺ هي في القلب، والمسلم يحب النبي ﷺ حتماً، والكافر يكرهه، ولكن النبي ﷺ لا يتكلم على وجود المحبة أو عدمها، بل يتكلم على أمر تقديم المحبة في القلب على محبة غير النبي ﷺ؛ أي على أن نقدم محبته على محبة سائر الناس.

والمحبة أمر في القلب له دلالات ككل أعمال القلوب؛ وتدل الدلالات عليها بأفعال صادرة منا، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]؛ فدلت هذه الآية على أن المحبة تظهر

(1) رواه البخاري في صحيحه برقم (15). ومسلم في صحيحه برقم (44).

بالعمل ؛ فإن من يزعم أنه يحب الله لا بد أن يظهر الدليل على محبة الله ؛ وهذا الدليل هو اتباع الرسول ﷺ ، وكذلك فإن محبة النبي ﷺ يدل عليها العمل بالطاعة للنبي ﷺ وترك مخالفة أوامره ، التأسي به بأن نفعل الفعل كما فعله النبي ﷺ على هيئته وصورته التي نقلت عنه ، وبالكيفية التي حددها النبي ﷺ لنا ، وذلك يكون أيضاً بوضع الفعل في موضعه فالفرض فرض والسنة سنة والمكروه مكروه والحرام حرام ، فلا نجعل السنة فرضاً ، ولا الفرض سنة ، كما أننا حين نتأسى به فإنما نتأسى به لأنه رسول الله ﷺ المبلِّغ للشرع ، فالأُسوةُ به محلّها وموضعها في الأمور الشرعية وليس في كل شيء.

ومن هنا كانت طاعة أبينا وأمنا مطلوبة في حدود الشرع ، فنحن نقدم طاعة الله ورسوله ﷺ على طاعتهما ، فالله ورسوله ﷺ علَّمانا كيف نطيع الوالدين ، وعلَّمانا أن الله ورسوله في أعلى درجة السلم الذي هو سُلَّم القيم الذي سبق أن تحدثنا عنه ؛ فالقيم هي نتائج أعمالنا ، وهي المقاصد منها ، والمقاصد هي ما يكون من اقتران الحكم الشرعي الذي أمرنا الله ورسوله به أو ارتباطه بعمل ما من أجل غاية معينة ؛ فلذلك تحقق أعمالنا مقاصد روحية أو مادية أو إنسانية أو أخلاقية[1] ، وكلها مقاصد متوازنة بالشرع ، والمقاصد هي هذه القيم التي حدد الشرع توازنها في الجوانب المعنوية منها التي أعلاها هو محبة الله ورسوله ﷺ وطاعتهما ، والقيم المعنوية هي : القيمة الروحية والأخلاقية والإنسانية ، وهي تقابل القيمة المادية.

وليست محبة النبي ﷺ لشخصه ولا لجماله ، فهذه غاية دنيوية ، ومن يحب النبي ﷺ لشخصه فقط فهو لا يعرف معنى المحبة المطلوبة شرعاً ؛ فإن المحبة التي وراءها غاية دنيوية هي محبة للغاية الدنيوية ، فإذا قلت مثلاً : أحب

(1) القيمة الروحية هي في الصلاة مثلاً ، فنتيجة فعل الصلاة تحقق قيمة روحية ، وإغاثة الملهوف تحقق قيمة إنسانية ، والصدق يحقق قيمة أخلاقية ، والبيع يحقق قيمة مادية.

أمي لأنها تطعمني، فإنك لا تحبين أمك في الحقيقة وإنما تحبين المصلحة التي تأتيك من أمك.

وعلى هذا – أختي المسلمة – فلو كان أبو طالب يحب النبي ﷺ لاتَّبعه وأسلم، ولكن لعلّه أحب الفخر أمام العرب بابن أخيه محمد ﷺ، ولم يحب النبي ﷺ لكونه رسول الله ﷺ الذي أنزل الله عليه الوحي، فهذا ما تعنيه المحبة الصحيحة كما أرادها النبي ﷺ في هذه الوصية، فهي محبة خالصة للنبي ﷺ لأنه نبي الله أرسله بالهدى والرحمة، وهو لا نقدم عليه أحداً من الناس في المحبة، ولذلك فإن طاعته نقدمها على طاعة الناس جميعاً مهما كانوا مقربين إلينا، فمحبة القلب الخالصة تستلزم عملاً بما جاء به النبي ﷺ من أوامر شرعية من عند الله، نأتسي به ونطيعه في كل ما أمر، ونترك كل ما يخالف أوامره ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّهُ إلا لله، وأن يَكْرَهَ أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقْذَفَ في النار»**.